مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٢: ٤–١٠)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ لكونِه غنيًّا بالرحمةِ ومن أجلِ كثرةِ محبتِّه التي أحبَّنا بها* حينَ كنَّا أمواتاً بالزلاَّتِ أحيانا مع المسيح (فإنَّكم بالنِعمةِ مخلَّصون)* وأقامنا معه وأجلَسنا معه في السماويَّاتِ في المسيحِ يسوع* ليُظهِرَ في الدهورِ المستقبَلةِ فَرْط غِنى نِعمتِه باللطفِ بنا في المسيحِ يسوع* فإنَّكم بالنِعمةِ مخلَّصونَ بواسطةِ الإيمان. وذلك ليس منكم إنَّما هو عطيَّةُ اللهِ* وليس من الأعمالِ لئلاَّ يفتخرَ أحدٌ* لأنَّا نحن صُنعَه مخلوقينَ في المسيحِ يسوعَ للأعمالِ الصالحةِ التي سبقَ اللهُ فأعدَّها لنسلُك فيها.

الإنجيل

(لوقا ١٦: ١٩–٣١)

قال الربُّ كان إنسانٌ غنيٌّ يلبَسُ الأُرجوانَ والبزَّ ويتنعَّمُ كلَّ يومٍ تنعُّماً فاخراً* وكان مسكينٌ اسمُه

الجشع

ذات مرّة كتب الروائي ليو تولستوي قصة عن فلاح قرويّ ناجح لم يكن راضياً بميراثه. كان يرغب بالمزيد في كلّ شيء. تلقى مرّة عرضاً غريباً. كان باستطاعته أن يبتاع لقاء مبلغ زهيد مساحة الأرض كلّها التي يمكن أن يجتازها خلال يوم كامل. والشرط الوحيد في هذا الاتفاق هو أن يعود إلى نقطة الانطلاق قبل مغيب الشمس.

في الصباح التالي بدأ باكراً يمشي بخطًى سريعة. وعند منتصف النهار بدأ التعب يستولي عليه ولكنه تابع المسير مجتازاً المزيد من الأراضي. وفي فترة ما بعد الظهيرة أدرك أنّ جشعه قد حمله بعيداً جداً عن نقطة الانطلاق. فأسرع خطاه وإذ بدأت الشمس بالإنحدار من علوّ السماء، راح يعدو عالِماً أنّه إن لم يعد قبل مغيب الشمس ستضيع فرصته بأن يصبح من كبار المالِكين.

ومع مغيب الشمس كان على وشك أن يبلغ خطّ الانتهاء. فراح يلتقط أنفاسه وتسارعت خفقات قلبه مُستجمِعاً ما تبقى من قواه الجسدية ليصل بجسده المترنّح عند خط الانتهاء في اللحظة الأخيرة من المغيب. فهوى على الفور والدم ينزف من فمه. وفي غضون دقائق معدودة فارق الحياة فنال قبراً لم يتعدَّ طوله مترين وعرضه متراً واحداً.

لقد كان الموت نتيجةً حتميّة للجشع. الجشع النابع من الأنانية هو الرغبة الجامحة باقتناء المال والثروة والقوة والطعام وغيرها من المقتنيات. ويتولّد عن ذلك توق دائم إلى المادة، يجعلنا نرغب بتملّك الأشياء وادّخارها، ويتحوّل في مرحلة لاحقة إلى تعلّق شديد بها وبخل يسبّب لنا حزناً شديداً لدى فقدانها.

مَثَل الغني ولعازر الذي أعطاه الرب يسوع هو خير دليل على ما سيواجهه كلُّ مَن يتعلّق بغناه وينسى محبّة الآخرين. إن استطاع الغني أن يوزع ثروته على الفقراء متّبعاً المسيح، فذلك يضعه على درب الكمال: «إن أردتَ أن تكون كاملاً فاذهب وبِعْ أملاكَكَ وأعطِ الفقراءَ فيكونَ لك كنزٌ في السماء، وتعال اتبعني» (مت ١٩:

العدد ٤٤/٢٠١٠
الأحد ٣١ تشرين الأول
تذكار الرسل القديسين سطاشيس وابيليس وإميلياس وأوربانوس ونركيسس واريسطوبولس وهم من السبعين والقديس ابيماخس الشهيد
اللحن السادس
إنجيل السَحَر الأول

لعازرُ مطروحاً عند بابهِ
مُصاباً بالقروحِ* وكان
يشتهي أن يشبع مِنَ الفُتاتِ
الذي يسقُط من مائدةِ
الغني. بل كانتِ الكلابُ
تأتي وتلحسُ قُروحَهُ* ثمَّ
ماتَ المسكينُ فنقلَتْهُ
الملائكةُ إلى حِضنِ إبرهيمَ
ومات الغنيُّ أيضاً فدُفن*
فرفع عينيهِ في الجحيم
وهو في العذابِ فرأى
إبرهيمَ من بعيدٍ ولعازرُ
في حِضنهِ* فنادى قائلاً
يا أبتِ إبرهيمُ ارحمني
وأرسِلْ لعازرَ ليُغَمِّسَ
طَرَفَ إصبَعِه في الماءِ
ويبرِّدَ لساني لأني مُعذَّبٌ
في هذا اللهيب* فقال
إبرهيمُ تذكَّرْ يا ابني أنَّك
نِلتَ خيراتِك في حياتِك
ولعازرُ كذلك بلاياهُ. والآن
فهو يتعزَّى وأنت تتعذَّبُ*
وعلاوةً على هذا كلّه
فبينَنا وبينكم هوّةٌ عظيمةٌ
قد أُثبِتَتْ حتى إنَّ الذين
يريدون أن يجتازوا من
هنا إليكم لا يستطيعون
ولا الذين هناك أن يعبُروا
إلينا* فقال أسألك إذاً يا
أبتِ أن تُرْسِلَهُ إلى بيتِ
أبي* فإنَّ لي خمسةَ إخوةٍ
حتى يشهدَ لهم لكي لا
يأتوا هم أيضاً إلى موضعِ
العذابِ هذا* فقال له
إبرهيم إنَّ عندهم موسى
والأنبياءَ فليسمعوا منهم*

٢١). ليست تعاليم الربِّ موجّهةً للأغنياء فقط لأنه سيسأل كلاً منا، مهما كانت حالتنا المادّية، كيف تعاملنا مع الآخرين. هل أحببنا الآخرين وساعدناهم، ربما معنوياً فقط، أم أحببنا أنفسنا فقط واهتممنا بها؟ هل نحن قادرون على التخلّي عن ثرواتنا أو عن الأمور الأخرى التي نتعلّق بها؟ البخل ملازم للجشع والمغالاة في حبّ التملّك. ويُفضي بنا إلى الرغبة الجامحة بامتلاك الأشياء التي لغيرنا وتجميعها، ثم رفض التخلّي عنها لشدّة تعلّقنا بها.

ما هي الأشياء التي نملكها ولا نستطيع التخلّي عنها؟ هل هي مجموعة من الكتب والأفلام؟ هل نجد من الصعب إعارتها؟ وإذا كنا نفعل ذلك، هل نحافظ على هدوئنا ريثما نسترجعها؟ ماذا عن التحف التي تزيّن منازلنا؟ ماذا يحدث لو كُسرت إحداها؟ هل ينكسر قلبنا معها؟ وماذا عن قطعة ثمينة من الجواهر؟ ماذا لو فُقدت؟ هل نقلب البيت رأساً على عقب بحثاً عنها واليأس يتملّكنا مع مرور كلّ دقيقة؟ وماذا عن بيتنا بحدّ ذاته؟ إذا كان علينا أن نتركه على حين غرّة يوماً ما، كم سيكون من الصعب علينا أن نبتعد عنه دون أن ننظر إلى الخلف؟ لقد وجدت امرأة لوط هذا الأمر في غاية الصعوبة فصارت عمود ملح (تك ١٩: ٢٦).

إن التعلّق المفرط بالأشياء المادية قد يؤدّي إلى ضلال الروح. الجشع يجعل الإنسان بليداً وممقوتاً، والتاريخ حافل بقصص رجال من هذا القبيل. كثيراً ما نجد أنفسنا نحتقر هؤلاء الرجال ونفرح لتغيّرهم، دون أن نُدرك في أغلب الأحيان إلى أيّ حدّ نحن نشبههم.

تقول الوصيّة الأولى من الوصايا العشر التي أُعطيت لموسى: «أنا الرب إلهك... لا يكن لك آلهة أخرى أمامي» (خر ٢٠: ٢). تحوي عبارة «آلهة أخرى» كل الأمور التي نحبّها أكثر من الله وهي تتضمّن كلّ ما سبق أن تحدّثنا عنه. عندما ننصب لنا آلهة أخرى في حياتنا، تبدأ هذه الآلهة بطلب الذبائح ويُعوزنا الكثير لإرضائها. فينتهي بنا الأمر إلى اقتراف الكذب، والغش، والسرقة، وحتى القتل لاسترضاء تلك الآلهة.

ثمّة أمثلة عديدة من الكتاب المقدس توضح هذه الحقيقة بالذات، وخير مثال على ذلك يهوذا. لقد حوّله جشعه إلى سارق (يو ١٢: ٦)، ثم إلى خائن يُسلم معلّمه يسوع مقابل ثلاثين من الفضة (متى ٢٦: ١٥). جيحزي هو رجل آخر من الكتاب المقدس يرمز إلى الجشع وإلى عاقبته (٢ مل ٥: ٢١–٢٧)، لم يكلّفه الجشع حياته، بل إنه بالأحرى قد عانى الأمرَّين بسببه. كان جيحزي خادم أليشع النبي. وقد كان شاهداً على جميع العجائب والعظائم التي اجترحها أليشع، بما فيها شفاء نعمان الذي كان يشكو من البَرَص. وعندما ابتغى جيحزي أن يستفيد شخصياً من هذه العجيبة، كذب على نعمان وقال إنّ أليشع يريد مكافأة على شفائه، وهكذا أُصيب جيحزي بالبَرَص الذي شُفي منه نعمان.

إنّ الجشع يُصيب النفس بالبَرَص ويُلحق الأذى بمن حولنا. فحبّ الذات الذي يولّده الجشع يمنعنا من مشاركة الآخرين النِعَم التي سُكبت علينا، وبالتالي يدعونا إلى

قال لا يا ابتِ إبرهيمُ بل إذا مضى إليهم واحِدٌ مِنَ الأمواتِ يتوبون* فقال لهُ إنْ لم يسمعوا من موسى والأنبياءِ فإنَّهم ولا إن قام واحدٌ من الأموات يصدِّقونَه.

تأمل

ما هو الفرق بين الفقير والغنيّ؟ أليس الإثنان بشراً؟ سأُظهر لك أنّ الأول بحاجة للآخر، وهكذا لا الغني يستطيع العيش من دون الفقير ولا الفقير من دون الغني. دبّر الله هذه العلاقة المتبادلة بحكمة لكي توجد محبة ومساعدة متبادلة، ارتباطاً وترتيباً مشتركاً. عليّ أن أشدّد على أنّ الأغنياء هم بحاجة إلى الفقراء أكثر من حاجة الفقراء إلى الأغنياء. ولكي تفهم هذا الأمر أقول لك مَثَلاً: «لنفترض أنّ مدينتين بُنيتا، وبحكم القانون سيسكن الأغنياء فقط في الأولى بينما في الأخرى الفقراء فقط؛ إن لم يوجد في مدينة الأغنياء فقير واحد أو في مدينة الفقراء غنيّ واحد، فأيّ من المدينتين ستستطيع أن تلبّي حاجاتها أفضل؟».

في مدينة الأغنياء لن يوجد عامل ولا بنّاء ولا نجّار ولا عامل تمديدات صحية ولا خبّاز ولا فلاح ولا حدّاد ولا غير ذلك، لأنّه أيّ من الأغنياء كان سيمارس واحدة من هذه سَلب المجتمع كلّ الموارد. إنّ البخل هو الذي يؤدّي بدرجة ليست بقليلة إلى التفاوت الكبير بين الأغنياء والفقراء في عالمنا اليوم.

سؤال قد يخطر غالباً على بال كثيرين وهو كيف أنّ الله المحبّ والرحوم يسمح بمثل هذا الفقر المُدقع كما نشهده عادة في بعض البلدان الآسيوية والأفريقية. ليس ذلك خطأ الله. إنه خطأنا نحن. ثمة ما يكفي من الغنى والطعام والموارد للإهتمام بكلّ رجل وامرأة وطفل على وجه المعمورة عشرة أضعاف حاجتهم. لسوء الحظ، وبسبب خطيئة الجشع، يستأثر قسم كبير من البشر بمعظمها لأنفسهم تاركين الباقين يتضوّرون جوعاً وهم بأمسّ الحاجة حتى إلى الحاجيات الأساسية.

فلنأخذ العبرة من كلّ ما تقدّم ولنتعلّم أن كلّ ما نملكه هو نعمة من الله فلا يوافق أن نحب النِعَم أكثر من المُنعم أو أن نلقي رجاءنا على غنى هذا العالم، لأن المسيحي يأخذ ضمانته من الله وحده.

الشمعة

عند دخولنا الكنيسة، أول ما يتبادر إلى ذهننا لنفعله، قبل تقبيل الأيقونات ورسم إشارة الصليب، هو إيقاد شمعة أو إثنتين أو أكثر (على حسب عدد أفراد العائلة أحياناً). نوقد الشموع آملين أن ترتفع باحتراقها طلباتنا إلى الله وتتحقّق على الفور. وفي الكثير من الأحيان نقول إننا «دخلنا لنشعل شمعة» بدل أن نقول إنّنا «دخلنا لنزور الكنيسة». إذاً، الشموع تأخذ حيّزاً مهمًّا من طقوس العبادة التي نقوم بها إن في الكنيسة أو في المنزل، حيث لا يخلو بيت من الشموع التي توقدها الأمهات أمام الأيقونات كي يوفّق الله أبناءهنّ مثلاً... فما هي الرموز التي تحملها الشمعة؟

عندما نوقد شمعة، نكون أمام صورةٍ عنّا نحن، إذ تعبّر الشمعة رمزيًّا عن وقفة العابد أمام الله؛ فهي تظهر هادئة وساكنة وقلبها يشتعل بنار ملتهبة تحرق جسمها البارد الصلب فتذيبه وتسكبه دموعاً تنحدر متلاحقة تاركة خلفها هالةً من نور تُسعِد كلّ مَن يتأمّل بها أو يسير بنورها. فالشمعة كالعابد، لا فخر لها بذاتها إذ لا نور لها ولا حرارة فيها إلى أن نشعلها، فتضيء وتبدّد الظلمة وتبعث الحرارة. فطبيعتها من دون عمل النار تافهة مهملة كطبيعة الإنسان من دون عمل النعمة، ومتى اشتعلت بالنار صارت من طبيعة النار وأنارت لا بطبيعتها الأولى بل بطبيعة النار المتّحدة بها. إنّ الشمعة الموقدة في بيت الله هي دعوة للعبادة الهادئة الحارّة والمنيرة.

وللشمعة عدّة رموز بحسب الموضع الذي نستخدمها فيه. فمتى أوقدناها أمام أيقونة السيد نكون نعترف أنّه نور العالم (يو ١: ٩). في خدمة القداس السابق تقديسه الذي يقام أيام الصوم الكبير يحمل الكاهن الشمعة وهو واقف في الباب الملوكي ويبارك الشعب قائلاً: «نور المسيح مُضيء للجميع».

ومتى أشعلناها أمام والدة الإله نقرّ بأنّها أمّ النور، لذلك جرت العادة في بعض الكنائس أن توقد

المهـن في الـوقت الـذي يتركها مَن يمارسها عندما يغتني؟ كيف ستعيش المدينة؟ لا يوجد حلّ آخر إلا بـإلـغـاء القـانـون الذي وضعناه في البداية، ودعوة العمّال لمواجهة الحاجات العملية.

لنرَ الآن مدينة الفقراء؛ فكما أشرنا، لا يوجد أيّ غـنـي سـاكـن فـيـهـا ولا يمكـنـنـا أن نجد مـالاً ولا ذهباً ولا فضةً ولا أحجاراً كـريمة ولا أرجـوانـاً ولا ثياباً مطرزة بالذهب. في ظـلّ هـذه الـظـروف، هـل سـتـكـون حـيـاة المدينـة صـعـبـةً؟ أبداً. لأنه إن لزم أن يبنوا بيوتاً أو يصنّعوا الحديد أو ينسجوا الثياب، فلن يحتاجوا إلى الذهب والفضة والأحجار الكريمة بـل إلى الـفـنّ والأيـدي العاملة. وإن لزمت حراثة الأرض وزراعـتـهـا، سنحتاج إلى الأغنياء أم إلى الـفـقـراء؟ طـبـعـاً إلى الفقراء. إذاً، أين سنحتاج إلى الأغنياء إلا إن قرّرنا هدم المدينة؟

بلا نفع هم الأغنياء. نـعـم، لا نـفـع لـهـم إلا إذا كـانـوا رحـمـاء ومحبّـين للبشر. لكن للأسف فإنّ أغـنـيـاء قـلـيـلين جـداً يتميّزون بمحبتهم للبشر؛ غـالـبـيـتـهـم غـارقـون في الأنـانـيـة وعدم الرحـمـة والخطيـئـة، لذلك يجب الا تحسدهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الشمعة الموضوعة أمام أيقونة والدة الإله عندما يعلن الكاهن أو الشماس في صلاة السَحَر: «لوالدة الإله وأمّ النور بالتسابيح نكرّم معظّمين». أمّا الشمعة الموقدة والتي نسير بها أمام الإنجيل في الدورة الصغرى خلال القداس الإلهي فترمز إلى القديس يوحنا المعمدان الذي «أعدّ طريق الرب»، كما ترمز إلى أنّ الإنجيل هو كلمة نور للعالم. وعندما نوقد الشموع أمام أيقونات القديسين فإننا نعترف بأنّهم نور للآخرين من خلال سيرتهم التي سطعت بالقداسة وجذبت الناس إلى نور المسيح الذي شعّ من خلالهم، فكانوا كالسراج الموضوع على المنارة في أعلى البيت لإنارة كل مَن فيه. كما أننا نعترف بأنّ هؤلاء القديسين هم من النور الأزلي الذي لا يغرب ابداً.

عندما نشعل شمعةً نطلب إلى الله أن يجعلنا مثلها، مشتعلين بمحبّته ونعمته ومرسلين نوره إلى الآخرين، حتى عندما يرونا ساطعين بنوره يمجدوا أبانا الذي في السموات، كما أنّنا نطلب أن نكون قادرين على أن نذوب من أجل الآخرين كما تذوب الشمعة لتنير سواها. يقول القديس يوحنا كرونشتادت: «نقدّم الشموع أمام الأيقونات توسّلاً أن تكون حياتنا منيرة، متشبّهين بالعذارى الحكيمات ذوات المصابيح المضيئة، ومتمّمين وصيّة الرب أن تكون سُرُجُنا موقدة لتحفّزنا على الصلاة والسهر... حينما أُشعل الشمعة بالنار، أرجو أن يمنحني الله قلباً مشتعلاً بنار الغيرة المقدسة والحب الطاهر لتحرق الشهوات والخطايا في داخلي... حينما أثبّتُ الشمعة في موضعها فتظلّ تشتعل وتضيء، أودّ من كلّ نفسي أن أدوم هكذا منيراً لمن هم حولي ومعي».

عندما نعي رموز الأمور المعطاة لنا في الكنيسة والتي نستخدمها في عبادتنا الليتورجية، ننبذ الجهل الذي نعيش فيه ولا نعود نتصرّف كمن لا يعلمون، بل كأبناء حكماء عقلاء. فمتى تعلّمنا المعاني التي تحملها الشمعة إلينا، لا نعود نشعل الشموع بغزارة كلما دخلنا إلى الكنيسة، بل نكتفي بشمعة واحدة طالبين مع إشعالها كما كان القديس سيرافيم ساروفسكي يطلب: «ليت قلبنا يضطرم بنار وحياتنا تضيء كنور أمام الرب الإله كشمعة موقدة أمام أيقونته المقدّسة».

نقل رفات القديس جاورجيوس

بمناسبة ذكرى نقل رفات القديس جاورجيوس يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الثلاثاء ٢ تشرين الثاني في كنيسة القديس جاورجيوس في الرميل وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأربعاء ٣ تشرين الثاني في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb